استدعاء الشخصيات والأحداث التاريخية في أشعار أحمد مطر

د. شاكر عامرى م.م. صديقه اسدى مجره
كلية الآداب/ جامعة سمنان (إيران)
أ.م.د. علي صيادانى
كلية الآداب/ جامعة الشهيد مدني بأذربيجان (إيران)

Call the characters and historical events in the poetry of Ahmad Matar

Dr. Shakir Ameri Ass.Luc. Sideqa Asadi majaraa
Faculty of Arts / University of Semnan (Iran)
Asst. Prof. Dr. Ali Sayadani
College of Arts\ University of the Martyr Madani in Azerbaijan
a.sayadani@azaruniv.edu

Abstract

Ahmad Matar is one of the most prominent poets of contemporary politicians. It is best to call the characters and events mentioned in his hair. The case dates back to inform deep poet of the heritage and talk. Ahmed Matar different personalities and events may be invoked in a different time, linked to what is happening at the present time. Poet tries linked to the Arab reality. Ahmad Matar raises political issues that have taken place in the Arab and Muslim countries since ancient times until now, it puts Martyrs heritage and contemporary in through his poems to compares them with what is happening on the ground in Arab societies or leaves the reader to have left such a comparison.

Key words: Ahmed Matar, Biography, political events.

الملخص

أحمد مطر هو من أبرز الشعراء السياسيين المعاصرين. هو أحسن استدعاء الشخصيات وذكر الأحداث في شعره. وهذه القضية يعود إلى اطلاع العميق للشاعر على التراث والحديث. قد استحضر احمد مطر شخصيات وأحداث مختلفة في مجال زمن مختلفة، ويربطها بما يحدث في الزمن الحاضر. الشاعر يحاول ربطها بالواقع العربي. أحمد مطر يطرح القضايا السياسية الّتي حدثت في البلاد العربية والإسلامية منذ القدم حتّى الآن، ويطرح الشخصيات التراثية والمعاصر في خلال أشعاره ليقارن بينها وبين ما يحدث على الأرض في المجتمعات العربية أو يترك القارئ ليقم بتلك المقارنة.

كلمات مفتاحية: أحمد مطر، الشخصيات، الأحداث السياسي.

المقدمة

الأحداث التاريخية والشخصيات التاريخية ليست مجرد ظواهر كونية عابرة، تنتهي انتهاء وجودها الواقعي، فإن لها إلى جانب ذلک دلالتها الشمولية الباقية (زايد، 1997: 120). دلالات الشخصيات يمكن أن تتغير عند الاستدعاء، فدلالاتها غير ثابتة، ويدلل على هذا إمكان استدعاء مبدع واحد لشخصية تراثية معينة، في سياقات مختلفة، للدلالة على معان متعددة (مجاهد، 1998: 191).

استدعاء الشخصيات هو أحد عناصر التراث ومعطى من معطياته، وتقنية استدعاء الشخصيات التراثية تعد إحدى الوسائل التعبيرية التي يلجأ إليها الشاعر المعاصر؛ لتحديث بنية القصيدة العربية قصد الوصول إلى تشكيل رؤاه للعالم وللكون والتعبير عما يحس به من معاناة أمته العربية وأزمتها، الأمر الذي يدل على مآزق الإنسان العربي في عالمنا المعاصر (حمدان، 2006: 3). استدعاء الشخصيات بالنسبة للشاعر ليس مجرد ذكر للشخصية أو الإخبار عنها فحسب،

بل المعرفة الواعية بملامح تلك الشخصيات وأبعادها الدلالية ومن ثم المقابلة بين تلك الملامح والقضايا، التي يعيشها الشاعر في واقعه ثم التعبير عن هذا الواقع من خلال الشخصية المستدعاة بطرق تعبيرية مختلفة تبتعد كثيرا عن مجرد ذكر الشخصية، أو سرد أحداثها، كما وردت في كتب التاريخ والتراث (السويكت، 2008: 3).

توظيف التراث عند الشعراء يتخذ أشكالاً متعددة، فمنهم من يوظفه بدواعي المناسبات التي لها صلة بقضايا الوطن؛ وذلك لشحذ الهمم على التمرّد لتغيير هذا الواقع الأليم. ولكي يؤكدوا روح السيادة والحرية في ضمير أبناء وطنهم، راحوا يذكرونهم بأجدادهم كيف حكموا، وكيف قدّموا للحضارة أفضل مقوماتها، وكيف كانوا سادة الدنيا وقادتها. ومنهم من استلهم التراث ووظفه في شعره للتكسب والتقرب إلى الشخصيات المهمة، وبلوغ المراتب الرفيعة، يضاف إلى ذلك تعوّد الشعراء استلهام التراث تلبية للذوق السائد، أو حبّاً للتقليد(مكنا، 2002: 128). يقصد الشاعر باستدعاء الشخصيات التراثية استخدامها تعبيرا لحمل بعد من أبعاد تجربة الشاعر المعاصر، أي تصبح وسيلة تعبير وإيحاء في يد الشاعر، يعبر من خلالها أدبها عن رؤياه المعاصر (زايد، 1997: 15).

خلفية البحث

كُتب حول أحمد مطر، الكتب والمقالات المتعددة، منها: «عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر» لكمال أحمد غنيم، حيث تناول الكتاب حياة الشاعر وبعض الموضوعات الهامّة من شعره السياسي والاجتماعي كالحديث عن الحرّية والظلم وغيرها. وكتاب «رغيف النار والحنطة» لشاكر النابلسي، الذي نقد شخصية الشاعر وقد تناول الكتاب، كذلك، نقد عدد من الشعراء الآخرين. وأيضاً هناك بعض المقالات الصحفية الّتي تناولت الشاعر وشعره، منها: «لقاء مع أحمد مطر» في مجلّة «العالم»، العدد 185، و«أحمد مطر وقضايا شعره السياسي» لمهين حاجي زاده، في مجلة آفاق الحضارة الإسلاميّة العالميّة، العدد 23، حيث تناولت المقالة أهمّ القضايا الّتي توجد في شعره السياسي كالحرّية، الثورة، فلسطين وغيرها. و«حوار مع أحمد مطر» لعلي المسعودي في مجلة «الحدث»، العدد 24، وغير ذلك من المقالات. والملاحظ من عناوين الدراسات السابقة حول الشاعر أنّها لم تدرس بالشخصيات والأحداث التاريخية في شعر أحمد مطر لأجل عدم وجود دراسة سابقة لهذه الظاهرة من قبل، تسعى هذه الدراسة لتسليط الضوء على الجانب الذي تناساه الدارسون.

الشخصيات في شعر أحمد مطر

توظيف الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر يعني استخداماً تعبيرياً حاملة بعدا من أبعاد تجربة الشاعر المعاصر، هي وسيلة تعبير عن رؤياه المعاصرة. يذكر أحمد مطر أسماء بعض الشخصيات والأبطال العرب. وهذه الشخصيات بعضها ذو بعد إيجابي وبعضها الآخر ذو بعد سلبي. يعمد الشاعر إلى توظيف الشخصيات التاريخية، لتكون تعبيرا عن مواقف يريدها، أو ليحاكم العصر و نقائصه من خلالها، وهو في ذلك يختار الشخصيات التي تتلاءم بمضمون تجربته، و تكون استلهاماته التاريخية صورة لقضايا الأمة، و يترسّم أحمد مطر فيها فكره و خطوط رأيه.

- صلاح الدين الأيوبي

قد استحضر الشاعر العديد من الشخصيات التاريخية في رسم صورة الفنية، منها صلاح‌الدين الأيوبي. «تعتبر شخصية صلاح‌الدين من الشخصيات النادرة في التاريخ الإنساني عامة، وفي تاريخ العرب والمسلمين خاصة، ولم تكن شخصيته تعتمد على ناحية واحدة باعتباره قائداً حربياً، وسياسياً بارعاً فحسب، بل إنّها تعتمد على جوانب متعددة متكاملة. وقد احتفظ الناس جميعاً لهذا الرجل بصورة البطل، وارتسمت في أذهانهم مقرونة بأعظم آيات الإجلال والتقدير والإعجاب» (بكري 1980م:ص29) هو يستدعي تلك الشخصية العظيمة التي لاينساه التاريخ على مرّ الإزمان:

دارتِ الأدوارُ فوقَ أَوْجُهِ قاسية
تَعْدِلُها من تحتِكم لُيونَهْ
فكلّما نامَ العدوُّ بينكمْ
رحتُمْ تَقَرّعونَهْ

لكنكم تُجرونَ ألف قُرعَة
لمنْ ينامُ دونَهْ !
وغاية الخشونَهْ
أنْ تندبوا:
قُمْ يا صلاحَ الدين قُمْ
حتّى اشتكي مَرقَدُهُ من حولهِ العفونَهْ.
كم مرَّة على جدار الجُبنِ تجلدونَهْ؟
أيطلب الأحياءُ من أمواتهم معونَهْ؟!
دَعوا صلاحَ الدينِ في تُرابِهِ
واحترموا سكونَهْ
لأنّهُ لو قامَ حقاً بينكمْ
فسوف تقتلونَهْ !(مطر، لافتات1، ص 88-89)

لقد تقلّبت الأمور على حالات قاسية شديدة (الحروب) قابلها الحكام العرب بليونه واستلام، وهم يُظهرون عداوتهم في الظاهر ويلومون عدوّهم ولكنّ أحداً منهم لا يجرؤ أن ينام دون عدوّه، وهو العدوّ الحقيقي للشعوب والظاهري للحكام الّذي يحميهم في الواقع، وجميع الدول العربية تعتمد على دعم أمريكا لها وأمريكا، في الواقع، عدوة الشعوب. وإذا أراد الحكام العرب أن يظهروا خشونة وقسوة فإنّهم ينادون صلاح الدين الأيوبي الّذي دمر الصليبيين، وذلک لجبن الحكام ولجوئهم إلى الصراخ دون العمل، فهل يطلب الأحياء ومعونة من موتاهم؟ ثمّ يطلب الشاعر من الحكام ألّا يتذرّعوا بصلاح الدين كذباً وزوراً لأنّه لو قام صلاح الدين من قبره لقام الحكام بقتله لأنّهم لا يريدون المخلصين لعقيدتهم ودينهم وقضيتهم. إنّ سيطرة موجة من الظلم والتعذيب والكبت على البلدان العربية إلى الحدّ الّذي يجعل الشعوب العربية يتوسّمون لحلّ هذه المعضلة تُلجئ الشعب العربي إلى أبطال الماضين كصلاح الدين الأيوبي، شخصية صلاح الدين هي صورة جزئية من النص، فهي شخصية مساعدة لتعريض بهؤلاء الّذين ينتظرون من الأموات نصرا.

- الخليل بن أحمد الفراهيدي

«هو من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، أخذه من الموسيقي وكان عارفاً بها، هو أستاذ سيبويه النحوي» (الزركلي، د.ت: ص314). استدعى الشاعر شخصية ذات بعد ايجابي، قضى عمره في سبيل العلم ويعتبر من كبار العلماء:

وَضَعي على رِدْفيك أوزانَ الخَليلِ
وخَلْخلي نهديك باللحنِ الجميلِ
ومدّي ساقيك في البحرِ الطويلِ (مطر، لافتات3، ص 144).

يقول مطر بإحدى الرّاقصات تعمل على اوزان الخليل وهزّک باللحون الجميلة وأطل يدان في البحر الطويل أي في زمن الرقص يفتح يدان تماماً. الخلخلة الّتي يقصدها الشاعر هنا هي أن تهزّ الراقصة نهديها كما تفعل من يرقصن ما يسمّي الشرقي. يوجّه الشاعر خطابه إلى إحدى الراقصات، وذكر الخليل هنا إشارة إلى عروضه، وهي الأوزان والإيقاعات، والرقص لا يكون دون إيقاع.

- السَّفاح وصدّام:

نماذج أخرى من الشخصيات الّتي قد ذكرها الشاعر، في قصيدة «قصة مدينة» هما السّفاح وصدّام من أشهر الحكام شراسة وظلما. السفّاح هو من الحكام الظالمين في العصر العباسي الّذي قتل كثيراً من الناس. وأيضاً صدّام حسين

عبد المجيد التكريتي، رئيس جمهورية العراق سابقا. ولد في أسرة مسكينة وفقيرة، هو بوصفه رئيس الجمهورية إستطاع أن يخلق نوعاً من العبادة الشخصية الشاملة بين الناس:

في وَطَني مَدينَة.. ظَلَّتْ لألْفِ عامْ
تُحيطُها سِلسِلة مِنْ أشرَسِ الحُكامْ.
مَا طاحَ فيها سافِلٌ.. إلّا وَوَغدٌ قامْ!
جَمَّلَها (السَّفاحُ) في ابتدائِها..
وَ زانَها في المنتَهى (صدّام)
واستوعَبَ القَوسان ما بينَهُما
عِبارةً مِنْ عَبَراتٍ وَدَمِ
يدعونَها: الأَيامْ (مطر، لافتات 6، ص66)!

يتحدّث الشاعر عن المدينة الّتي تحكم فيها الحكّام الهمجيّة في مدة ألف عام وحينما يفني أحد من هذه الحكام يأخذ مكانه حاكم أسفل منه. ويقول الشاعر أحاطت بوطني سلسلة من أشرس الحكام وفي ابتدائها السّفاح زيّنه ففي المنتهى صدّام، ويجري بين القوسين عبارة من العبرات والدموع أي ظلمهم يجري عبرات ودماء كثيرة في بلدي وهذه العبارة تسمّي الأيام. يشير الشاعر إلى الحكّام الّذين يحكمون الناس بالجور ويضطهدون أبناء العرب إذ إنّ الحكّام منذ زمن العباسيين إلى الزمن المعاصر كلّهم ظالمون.

- جُهيمان العتيبي

يستدعي الشاعر في قصيدة «حصار» شخصية ذات بعد إيجابي هو جهيمان العتيبي الّذي كان قائد حركة التمرد في الحرم المكي الشريف في كانون أول 1979 وهو من الأبطال والمناضلين السياسيين، يتمتع بالشجاعة والجرأة. وهذا البطل وقع شهيدا وواجه الموت بإرادته وقد قتل في سبيل المثل العليا أي المقاومة:

صباحَ يومِ عيدْ
يخَضِّبُ الكعبة بالدماءِ من جديدْ.
إنِي أري مُصَفَّحاتٍ حَولَها
تقذفُها بالنارِ والحديدْ.
وطائراتٍ فوقَها
تقذِفُ بالمزيدْ.
هذا (جُهَيمانُ)
يسَوِّي رأسَهُ الدامي
ويدعو للعُلا صَحْبَهْ
يقسِمُ بالكعبَة
أن يترك الكِلْمَة رُعباً خالداً
للملك السَعيدْ (مطر، الساعة، ص 20)!

يقول أحمد مطر في يوم العيد واجهت الكعبة الحربَ ومُلئت بالدماء وقذفت المصفّحات في الكعبة بالنار والطائرات أيضاً أطلقت النار عليها وجُهيمان هو الّذي قام أمامهم ودعا للعلا. جهيمان هو الّذي نهض ضدّ الظلم الّذي رآه. المنافع السياسية لا تراعي حرمة لأحد من الناس أو الأماكن المقدّسة حتّى المسجد الحرام والّذي هو المكان الآمن الّذي حُرّم فيه سفك الدماء وقد قتلوا جهيمان في هذا المكان المقدس.

- **خيبر:**

«استدعى [أحمد مطر] شخصية قبيلة «خيبر» اليهودية، واعتمد على ما يضمره المتلقي في وجدانه حولها– فهي القبيلة التي غدرت بالنبي (ص) ونقضت عهوده، فحاربها واستأصل شأفة اليهود فيها، وكانت المعركة معها نهاية المطاف لليهود في المدينة، حيث لم يدخلوها من ذلك الوقت– ثم يمنح هذه الشخصية المعبرة عن اليهود ملامحهم في هذا العصر وواقعهم السياسي القائم ليس على الانتصار وحسب، بل على الغطرسة وقمة التفوق والانتصار» (غنيم،، 292.)، يقول الشاعر:

قالَتْ خيبر:
شِبران.. ولا تطلب أكثر
لا تطمعْ في وطنِ أكبر
هذا يكفي
الشُرطةُ في الشبرِ الأيْمن
والمسلخُ في الشبرِ الأيْسر
إنا أعْطَيناك «المَخْفر» !
فتفرغ لحماسٍ وانحر
إن النحر على يديك سيَغدُو أيْسر! (مطر، لافتات 5، ص75)

يتكلّم مطر بلسان خيبر ويقول: في المجتمع الحالي توجد قطعتان صغيرتان وتأمر خيبر (أي إسرائيل) أن لا يطلب الفلسطينيون أكثر منهما وهذا كافٍ لهم، إلّا فالشرطة والمسلخ. فإسرائيل هي الحاكمة في فلسطين وتجبر الفلسطينيين على القبول بحكمها بالقوّة فإذا تمرّدت منظمة حماس فإنّها تقابلها بالقصف والقتل وذلك بتفويض من أمريكا.

يلاحظ هذا التناقض بين الملامح الحقيقية المضمرة لصورة اليهود في معركة خيبر، والصورة المعاصرة، ومن خلال التفاعل بين الصورتين تبدو المفارقة عميقة مؤلمة، فهذا الواقع المشرق للأمّة الإسلامية في الماضي يكشف مرارة الواقع المعاصر والسقوط المأساوي الّذي وصلت إليه، وما كانت هذه المرارة الفظيعة لتظهر واضحة بجلاء، لولا المفارقة البارعة، الّتي مزج فيها الشاعر ملامح الأمس بملامح اليوم (غنيم، 293).

أحداث وقصص التاريخية في شعر أحمد مطر

لقد جاء هذا النوع من الصور لاستحضار أحداث و شخصيات بصمات واضحة في مجرى التاريخ، وقد شايع بين الناس وغدت متداولة بين الشعراء خاصة في شعرهم.

إنّ أحمد مطر يشير إلى الحوادث التاريخية، إشارات معينة ولا يوردها سرداً في شعره، بل يحاول ربطها بالواقع العربي. أحمد مطر يطرح القضايا السياسية الّتي حدثت في البلاد العربية والإسلامية منذ القدم حتّى الآن، ويرسم بعض هذه الأحداث في أشعاره ليقارن بينها وبين ما يحدث على الأرض في المجتمعات العربية أو يترك القارئ ليقم بتلك المقارنة.

- **هجرة الرسول (ص) من مكة إلى المدينة:**

يقول الشاعر في قصيدة «قف ورتّل على رأس الوثن»:

سَترى غاراً فلا تَمشِ أمَامَهْ
ذلك الغارُ كمينٌ
يختفي حينَ تَفوت
وترى لُغْماً على شَكلِ حَمامَةْ
وتَرى آلة تسجيلٍ

على هَيئَة بيتِ العنكبوتْ
تَلْقُطُ الكِلْمَةَ حتّى في السكوتْ
إبتعدْ عنه ولا تدخُل... وإلّا ستموتْ
قبلَ أن يُلقي عليكَ القَبْضَ
فَرسانُ العَشائِرْ!(مطر، لافتات 1، ص158)

يقول الشاعر ناصحاً القارئ بأنّه إذا رأى غاراً فعليهم الابتعاد عنه لأنّ هذا الغار ليس مأوى وملجأ وهو كمين والحمامة الّتي تراها على باب الغار هي لغم وبيت العنكبوت هو آلة تسجيل كلامک حتّى في السكوت، ولاتذهب داخله لأنّ دخولک فيه يساوي موتک. يريد الشاعر أن يقول الغار، والحمامة، وبيت العنكبوت كلّها تكون بضرر الإنسان العربي والحكام هم الّذين يضعونها أمام الشعب.

اعتبر كمال أحمد غنيم هذه القصيدة إشارة لحادثة هجرة الرسول (ص) من مكة إلى المدينة، حيث يقول: «ولمّا كانت الهجرة في هذا العصر مستحيلة الحدوث، لأنّ الغدر قد عشّش في كلّ مكان، فالهجرة هنا ليست هجرة الشاعر الّذي يواجه آلة الحرب العصرية بإمكاناتها، كما واجه النبي (ص) من يناصره ولا يغدر به، ووجد في الصحراء متّسعاً للفرار والإختباء، وقدمّوه أحد الرعاة على أعدائه بخطوات قطيعه الّذي أزال آثار خطاه، واستقبله الأنصار ونساؤهم بالغناء والترحيب، وتلقف المؤمنون آيات الله من فمه، يحفظونها في صدورهم، ويطبقونها في معاملاتهم، وكان قد وجد الفدائي علي بن أبي طالب لينام في فراشه، وأبابكر الصديق رفيقاً في هجرته، ورجالاً مثل عمارين ياسر يرفضون النيل منه،على الرغم من صنوف العذاب،إلا بعد إكراه شديد وتعذيب لا يحتمل، ووجد العون من الله متمثلاً في حكاية الغار والحمامة وبيت العنكبوت والرمال الّتي تبتلع أقدام متتبعيه، لكنّ الشاعر هنا قد انقلبت عليه هذه الأمور فغدر به الجميع، وطعنه الأصدقاء، وخانته الصحراء ورمالها، والغار والعنكبوت والحمامة، ولم يجد أنصارا وإنما وجد جواري يتغنين بهجائه، ورُفضت قصائده وحوربت، فلم يجرؤ على طباعتها ناشر، وخانه من نام في فراشه، ومن رافقه في طريقه، واعترف عليه أصحابه دون ضغط و إكراه، و لهذا كانت الهجرة خياراً مرفوضاً لدى الشاعر، فلا خيار أمامه سوى الثورة على الواقع ونَسف أصنام العصر بكميات لا نهاية لها من البارود والقنابل» (غنيم، ص295).

– مقتل هابيل

يشير الشاعر في قصيدة أخرى إلى حادثة قتل هابيل ابن آدم (ع) بيد قابيل أخيه، والحادثة كما يشرحها عبد الحسين الشبستري هي كما يلي: «أوحى الله إلى آدم (ع) أن يدفع ميراث النبوّة والعلم إلى هابيل، فدفعه إليه، فلمّا علم قابيل بذلك غضب وأخذه الحسدُ على أخيه، فعاتب أباه على ذلك، فقال آدم (ع): إنّ الله قد أمره بذلك وفضّله عليه، واقترح عليه أن أراد التأكّد من ذلك فليقدّما قرباناً إلى الله سبحانه، فمن قبل قربانه هو المفضّل لدى ربّ العزّة، فقدّم قابيل قمحاً رديئاً، وقرّب هابيل كبشاً سميناً، فنزلت النار وأحرقت القمح ولم تتعرّض للكبش، فازداد حسدُه على أخيه وقرّر قتله، وذلك بتشجيع من إبليس، فقتله خنقاً وعضّاً. ويقال: ضربه بحديدة أو صخرة على رأسه حتّى مات، ثمّ حفر حفيرة ودفنه فيها» (الشبستري، 1379: ص 1001) ويلفت الشاعر الأنظار إلى الوضع المؤسف لمجتمعه وسعة الفتنة والفوضي بين أبناء العرب بسبب دسائس إسرائيل الخفيّة:

إثنان لا سواكما، والأرضُ مِلك لَكما
لو سارَ كلٌّ منكما بِخَطْوِهِ الطَّويلْ
لما التَقَتْ خُطاكما إلّا خِلالَ جيلْ.
فَكيفَ ضاقَتْ بِكما فَكنتُما القاتِلَ وَ القَتيلْ ؟
قابيلْ.. يا قابيلْ
لَو لَمْ يجيءْ ذِكرُكما في مُحكمِ التَّنزيلْ

لَقُلْتُ:مُستَحيلْ!
مَنْ زَرَعَ الفِتْنَة ما بينَكما
وَلَمْ تَكنْ في الأرضِ إسرائيل ؟! (أحمد مطر، لافتات 6، ص 15)

يقول أحمد مطر هابيل وقابيل هما شخصان وكانا يملكان الأرض وهذه الأرض واسعة النطاق كيف ضاقت بكما ولماذا صرتما عدوّين وأحد كما صار قاتل أخيه. اعترف الشاعر أن هذه الواقعة ليست مقبولة عندنا وإن لم تذكر هذه الواقعة في القرآن لم يصدّق أحد من الناس هذا، فعامل الفتنة بينكما ليس أحد إلّا إسرائيل. يريد الشاعر أن يقول إسرائيل هي سبب رئيسي للفتنة بين المسلمين. وهنا التفاتة لطيفة من الشاعر، حيث استبدل الشيطان الّذي أغرى قابيل بقتل أخيه بإسرائيل الّتي اعتبرها سبباً لكلّ الفتن والمؤامرات في البلاد العربية والبلاد الإسلامية.

- أصحاب الكهف

«في أحد الأيام أخبروه [الملك دقيانوس] بأنّ جيوشاً من بلاد فارس متوجّهة إلى بلاده تريد الهجوم على اقسوس، فأخذه الرعب والفزع، فأخذته الرعدة وسقط تاجه من رأسه، فجلب ذلك نظر وزيره تمليخا، وأخذ يفكر ويسأل نفسه إن كان الملك إلهاً بحق – كما يدّعي– فلماذا يجزع من سماع خبر؟ فأخذ يناقش نفسه بنفسه، فتوصّل إلى أنّ زعم الملك الألوهية مجرد ادعاء لا أساس له من الحقيقة والواقع. ومن ثم أخبر تمليخا أصحابه –الوزراء الخمسة– بما توصل إليه من كذب ادّعاءات الملك بالألوهية والربوبية، وأثبت لهم بأنّ الخليفة له خالق ومدبر غير الملك، وهو الله وحده لاشريك له. لما سمع أصحابه أقواله صدّقوه، وجعلوا أنفسهم تحت أوامره، ورهن إشارته. قرّر الفتيان الستة الهروب من أقسوس، فامتطوا خيوطاً وغادروها هائمين على وجوههم في الصحراء، وفي طريقهم مرّوا براع يرعي غنمه، فأخبروه بأمرهم وفرارهم من ذلك الملك الكافر الجبّار، فلما سمع الراعي كلامهم اهتدي هو بدوره، وآمن بالله وبأنبيائه، فترك غنمه والتحق بهم يصحبه كلب له يدعى قطمير. جدّ السبعة في السير وثامنهم قطمير حتّى وصلوا إلى كهف يدعي «انجلوس»، فدخلوه، وبقي الكلب عند باب الكهف يحرسهم، ولم يلبثوا طويلاً حتّى أرسل الله ملك الموت وقبض أرواحهم. افتقد الملك الوزراء الستة، فأخبروه بفرارهم، فأصدر أوامره بتتبّع آثارهم، وأخيراً وصل إلى الكهف الّذي هم فيه، فلما رآهم أمواتاً امر ببناء باب الكهف وسدّه عليهم. مكثوا في الكهف ثلثمائة وتسع سنين وهم أموات، وبعد تلك المدّة الطويلة أحياهم الله» (الشبستري، 1379: ص131–130):

ولما أوى الفتية المُؤمنونْ
إلى كهْفِهِمْ
كان في الكَهْفِ من قبلِهم مخبرونْ !
ظَنَنتُمْ، إذنْ، أنَّنا غافلونْ؟
كذلك ظنَّ الّذين أتوا قبلَكمْ
فاسْتَجَبنا...
ولو تَعلمونْ
بما قد أعَدَّ لهم من قواويرْ
كانتْ قواويرُ منصوبةً
فوقها يقعدونْ (مطر، لافتات4، ص158).

أخذ الشاعر تلك القصة التاريخية ليوظّفها توظيفاً عصرياً ليدلّ على وخامة الأوضاع الأمنية المزرية في البلاد العربية، الكهف المعروف بمكان الأمن لكن في عصرنا حينما يلجأ المؤمنون إلى الكهف يكون لهم كميناً لأنّ المخبرين يرصدون تحركاتهم يزعمون بأنّنا غافلون نحن نمهّد لهم القواوير المنصوبة فالكهف هنا ليس مأوى وملجأ آمناً لأنّ المخبرين وقوات الأمن يكمنون فيه لأجل القبض على أصحاب الكهف.

- محاولة أبرهة الحبشي هدم الكعبة

كان أبرهة مسيحياً، فأمر ببناء كنيسة ضخمة في صنعاء، وأمر الناس بالحج إليها. في أحد الأيام قام رجل من بني مالك بن كنانة بالتغوّط في تلك الكنيسة، فلما علم أبرهة بعمل الكناني صمّم على هدم الكعبة؛ لتنفيذ انتقامه. قدم أبرهة إلى مكة على رأس جيش وهو يمتطي فيلاً ضخماً يسير في مقدمة العساكر، فلما دخلت العساكر الغازية مكة امتنع فيل أبرهة من التقدم نحو الكعبة، وجثي على الأرض، فتوقّف الجيش عن الزحف، وفي الأثناء فوجيء أبرهة وجيشه بطيور تحوم عليهم في الجو، وهي تحمل حصيات في مناقيرها وأرجلها، فأخذت ترميها عليهم كالشهاب الثاقب أو أشدّ منه، فأهلكتهم بأجمعهم، ولم ينجُ منهم إلا أبرهة نفسه، فهرب باتّجاه اليمن، ولكن عذاب الله لاحقه في الطريق بصورة مفجعة (الشبستري، 1379: ص 124-125):

الذلُّ بساحتِنا يسعي
فلماذا نرفضُ أن نَحْبُو؟
ولماذا نُدْخِلُ «أبرهة» في كعْبَتِنا
وُنُؤَذِّنُ: لِلكعبة رَبُ؟
نحنُ نفوسٌ
يأنَفُ منها العارُ
ويخجَلُ منها العَيبُ (مطر، لافتات1،ص100).

يقول أحمد مطر الذلّ والهوان يسير بسرعة لكن نحن نحبو أي نتحرّك بهدوء وبطء ونحن نقدّم الكعبة إلى أبرهة و ندخله فيها ونحن النفوس الّتي يخجل منها العيب والعار أي نفوسنا ذليلة. يريد الشاعر أن يقول نحن في مركز الهوان مع هذا لا نعمل عملا مفيدا ولا نسعى لنجاة أنفسنا من هذا الوضع المرير والزمن لا نستطيع أن نتخلّص الكعبة من الضرر ولكن نمهّد المجال لأبرهة كي يخربها وأبرهة هنا هو مصداق للأمور الّتي تقع في بلادنا في العصر الراهن، يتخاذل العرب أمام الظلم فلا يقاومون الحكام الظلمة، بل يتركون قضيتهم يقوم الله بالدفاع عنها كما دافع عن الكعبة بواسطة الطيور الأبابيل الّتي أرسلها على جيش أبرهة. أبرهة قد قام بالتدمير، الإحتلال، ومصادرة الحرّيات.

- صبرا وشاتيلا

في القصيدة التالية، يشير الشاعر إلى حادثة صبرا وشاتيلا، حيث «تبدأ قصة المجزرة بعد ساعات قليلة من دخول جيش الاحتلال الإسرائيلي للبنان برفقة الحليف الّذي كان هذه المرة ليس كغيرها من المرات عربياً لبنانياً يتمثل بحزب الكتائب. بدأت عملية الإبادة يوم الخميس في 16 أيلول 1982. ذبحوا الأطفال، بالرصاص أعدموا من حاول الفرار وقتلوا الرضيع في حضن أمه، بتروا أوصال الضحايا بعد قتلها، حطموا رؤوسها، قتلوا الأطباء في مستشفي عكا. عذبوا الممرضات قبل قتلهن. أعدموا المسنين بلا رحمة زرعوا جثث الأطفال، النساء، الرجال، والشيوخ في كل حي من أحياء مخيمي صبرا وشاتيلا»(www.fatehmedia.org/showthread,php?t=6):

وبعد الصّبْرِ
ألفَينا العِدا قد حطّموا الجِسْرا
فَقُمْنا نَطلُبُ الثأرا
وَلكنْ قامَ عبدُ الذاتِ
يدْعو قائلا: صَبْرا
فألقينا بابِ الصبْرِ آلافاً مِنَ القَتْلى
وآلافاً مِنَ الجرحى
وآلافاً مِنَ الأَسْرى

وهَدَّ الحِمْلُ رحْمَ الصبر
حتّى لم يُطِقْ صبْرا
فأَنجَبَ صَبْرنا: صَبْرا!
وعبدُ الذاتِ
لم يُرْجِعْ لَنا مِنْ أَرضِنا شِبرا.
ولمْ يضْمَنْ لقَتلانا بها قبْرا.
ولم يلْقِ العِدا في البَحْرِ
بلْ أَلقى دِمانا وامْتطى البَحْرا.
فسُبحانَ الّذي أسرى
بِعَبْدِ الذاتِ
مِنْ صَبْرا إلى مِصْرا
وَ ما أَسْرى به للضَفَّة الأُخرى (مطر، لافتات 1، ص61-62) !

هذه الحادثة المؤسفة المؤلمة المزعجة لأيّ إنسان مسلم، يهاجم فيها الشاعر عبد الذات على تقاعسه وتخاذله عن الثورة الفلسطينية ولمواقفه الّتي جرّت على الفلسطين مآسي ونكبات. في حين كان أبناء العرب يطلبون الثأر من إسرائيل، يدعو عبد الذات أي الحاكم العربي إلى الصبر وبدلاً من تدمير وقتل الإسرائيليين، وخلف هذا العصر نرى آلاف من القتلى والأسرى، والحاكم لا يعيد للعرب من أرضهم حتّى قطعة صغيرة ولا مكاناً لدفن أمواتهم. ويكون سبباً لقتل أبناء بلده. ويرى أنّ القادة يخدعون هذا الشعب الفلسطيني المجاهد، الذي قدم التضحيات المتواصلة آلافاً من الجرحى والقتلى.

- كمب ديفيد

وصوّر الشاعر في هذه القطعة قضية كمب ديفيد في سنة 1979 والحصار الإقتصادي لنظام مصر من جانب الدول الأخري ويتحدّث فيها عن موقف الدول العربية من معاهدة السلام التي وقّعها السادات مع العدوّ الصهيوني ومن ثمّ هرولة العالم العربي خلفه لإلحاق هذه الأنظمة بالكمب المزيف:

الثورُ فَرَّ من حَظيرة البَقَرْ
الثورُ فَرْ
فَثارت العجولُ في الحَظيرهْ
تَبْكي فِرارَ قائدِ المسيرهْ.
وَشُكلتْ على الأثرْ
مَحكمة.. ومؤتمرْ.
فَقائلٌ قالَ: قَضاءٌ وقَدَرْ.
وقائلٌ: لقد كفَرْ.
وقائلٌ: إلى سَقَرْ.
وبعضُهم قالَ: امنحوهُ فرصة أخيرهْ
لعلَّه يعودُ للحظيرهْ.
وفي ختام المؤتمرْ
تَقاسموا مَربِطَهُ.. وَ جَمَّدوا شَعيرَهْ.

**

وبعدَ عامٍ، وَقَعَتْ حادثة مثيرهْ
لمْ يرجِعِ الثورُ
ولكنْ
ذَهَبَتْ وَراءَهُ الحظيرهْ!(أحمد مطر، لافتات1،ص 44)

يقول أحمد مطر إنّ رئيس الثيران قد فرّ من الحظيرة فاعترضت العجول على ذلك العمل وقامت بتشكيل محكمة لمحاكمة الثور الهارب وعقدت مؤتمراً على الفور وقررت في النهاية مصادرة مربطه وتجميد شعيره. وبعد عام من تلك الحادثة حدثت حادثة خطيرة، وهي أنّ الحظيرة كلّها ذهبت خلف الثور الهارب. أحمد مطر بذكر هذه الحادثة يشير إلى التناقض الّذي يعيشه الحكام العرب بين دعاواهم معاداة إسرائيل في الظاهر وسعيهم للصلح معها في الواقع.

الخاتمة

أحمد مطر هو، الشاعر الّذي تجاوزت شهرته حدود وطنه. هو رجل واسع الثقافة، مرموق الشخصية، ذائع الصيت، وشاعر جماهيري. وهو شاعر السياسة والثورة والتمرد والتحريض، هو كالطائر الذي مازال يطير في البلدان العربية الممتدة من المحيط الأطلسي إلى الخليج الفارسي، و يعيش دوماً في الغربة، لأنّه الشاعر الّذي ثار بوجه الحكام المزيّفين والظلم والاستعمار، وعلى أيّ شيء هو غلط في مجتمعه.

الشاعر قد تطرّق الشاعر إلى ذكر بعض الأبطال والشجعان العرب والمناضلين السياسيين الّذين يموتون في سبيل شعبهم وحرّية بلدانهم. وقد ذكر الأحداث السياسية الهامة الّتي تجري في البلدان العربية. قد استحضر احمد مطر شخصيات و أحداث مختلفة في مجال زمن مختلفة، و يربطها بما يحدث في الزمن الحاضر. الشاعر يحاول ربطها بالواقع العربي. تصوّر لنا واقع حياة الشعب العربي السياسية ومعاناته وفداحة الألم الّذي أصابه، وقد انعكست تلك المعاناة على نطاق واسع في أشعاره.

منابع ومآخذ

1. بكري، شيخ أمين، 1980، مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني، الطبعة الثالثة، بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة.
2. حمدان، عبد الرحيم، 2007م، استدعاء الشخصيات الوطنية والجهادية والتراثية في ديوان حديث النفس للشاعر الشهيد عبد العزيز الرنتيسي، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد الخامس العشر، العدد الأول.
3. زايد، علي عشري، 1997، استدعاء الشخصيات التراثية، القاهرة– مصر، دار الفكر العربي.
4. الزركلي، خيرالدين، د.ت، الأعلام قاموس التراجم، بيروت– لبنان، المجلد الثاني، دارالعلم للملايين.
5. السكويت، عبدالله بن خليفة بن دخيل، 2008م، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر السعودي من عام 1351هـ إلى نهاية 1426هـ، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي، بإشراف الدكتور حسين على محمد، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، كلية اللغة العربية قسم الأدب.
6. الشبستري، عبدالحسين، 1379، أعلام القرآن، الطبعة الأولي، حوزه علميه قم، مركز انتشارات دفتر تبليغات اسلامي.
7. غنيم، كمال أحمد، 1425هـ–2004م، عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر. الطبعة الأولى. المطبعة ستاره، منشورات ناظرين.
8. مجاهد، أحمد، 1998م، أشكال التناص، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
9. مطر، أحمد، 1987م، لافتات 1. الطبعة الثانية، لندن.

10.ـــــ، 1989م،لافتات3، الطبعة الأولى، لندن.
11.ـــــ، 2001م، لافتات 5، الطبعة الثانية، لندن.
12.ـــــ، 2001م، لافتات 6، الطبعة الثانية، لندن.
13.مجمع اللغة العربية، 1425هـ- 2004م، المعجم الوسيط، ط4، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية.
14.سمكنا، محمد عيسى، 2002م، الصورة الفنية في شعر رواد الرابطة القلمية، رسالة دكتوراه غير منشورة، دمشق.
15. -www.fatehmedia.org/showthread,php?t=6 page20 /9/2:25.1430.